

القرآن والعلم

تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب

في رد الشبهات التي بوردها الافرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

اشتهر بعض علماء الافرنج من المستشرقين وغيرهم الباحثين في الإسلام في آيات كثيرة من القرآن الشريف لم يفهموا معناها الصحيح بسبب ما وجدوه في بعض كتبنا من التفسير السخيفة والآراء السقيمة . وقد اتبهم في ذلك دعاة المسيحيين متخذين بعض آراء هؤلاء المستشرقين ذريعة للظلم في الكتاب العزيز ناسين إليه الجهل والخطأ لتشكيك عوام المسلمين في دينهم القويم . وقد سبق لي ان تكلمت على كثير من هذه الشبهات في (مقالات الدين في نظر العقل الصحيح) بما يشفي العلة ، ويروي الغلة ، ولكن فاتني ان استقصيها جميعاً إذ ذاك . فلذا رأيت الآن أن أستردك ما فاتني خدمة للإسلام وتذكيراً للعلماء كي ينظروا في هذا الدين ويقدروه قدره . فانه ما نظرفيه عالم محقق من اي وجهة كانت الا وجد الحق والصواب عماداً لجميع مبانيه ، والعلم والعقل أساساً لكافة عقائده وأوامره ونواحيه ، وقد رأيت أن أذكر الآية أولاً ، ثم أعلق عليها بما يفتح الله به علي حتى يتضح الدليل ، وتبين السبيل ، فأقول وبالله أستعين :

المسألة الاولى

(الحجر)

قال الله تعالى (١٥ : ٨٠) وقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ٨١ وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين ٨٢ وكانوا يغتزون من الجبال بيوتا آمنين) . اعلم

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صديقي

انه يوجد بين العقبة والبحر الميت مدينة شهيرة عند السائحين تدعى باللغة اليونانية (بترا) أي الصخرة وهي المسماة في العهد القديم بمدينة «سالم» كما في سفر الملوك الثاني (٧: ١٤) وفي كتاب اشعيا (١٦ : ١) وكلا الاسمين «بترا» و«سالم» بمعنى واحد لكنهما بلغتين مختلفتين . يحيط بهذه المدينة جبال وعرة أعلاها جبل هور المذكور في سفر العدد (٣٣ : ٣٨) ولذلك كان اليهود يسمون أهلها الأولين بالمهوريين ومعناه سكان الكهوف لأن بيوتهم منحوتة في الصخور ومنظر هذه المدينة من اعجب المناظر

فلما رأى بعض سياح الافرنج هذه المدينة وسمع ذكر «الحجر» في القرآن الشريف ظن ان هذه الكلمة ترجمة لفظ «بترا» اليوناني فهوهم انها بفتح الحاء والجيم «الحجر» ونبي على ذلك ان «الحجر» في القرآن هو «سالم» في العهد القديم . ولما كانت مدينة سالم هذه معروف عنها ما ينافي ان أهلها أهلكم الله بالصيحة وما يدل على انها كانت عامرة بالسكان الى ما بعد الميلاد بقليل اخذوا يطعنون على القرآن الشريف وينسبون اليه انططاً والجهل بالتاريخ والله يعلم انهم كاذبون . اذ لولا تسرع هؤلاء الحمقى وجهلهم لعلوا ان الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم غير بترا او سالم وان احداها تبعد عن الأخرى بعدا عظيماً فان الحجر قرية صغيرة على خط سكة الحديد الحجازية الآن الى جنوب دومة الجندل وتنزل بها حجاج الشام وتسمى بمدينة صالح وهو النبي الذي ارسله الله الى أهلها «ثمود» ولا تزال الى الآن آثار مساكنهم التي كانوا ينحتونها في جبالها المسماة «أثالب» كما قال في دائرة المعارف العربية ويمكن لكل احد ان يذهب اليها والى سالم ليرى بعيني راسه أنهما مدينتان متباعدتان في موضعين مختلفين وان المسافة بينهما تقارب ما بين الاسكندرية والعقبة وان الحجر في الجنوب الشرقي لسالم . ومعنى الحجر المكان الذي حوله حجارة وهو غير معنى «سالم» أي الصخرة . وما يزعمه بعضهم ان جميع ما نراه فيها من البيوت كانت قبوراً لا مساكن لم يقم دليل على صحته كذلك لا يبعد ان بعضها كان كذلك والقرآن لم يقل ان جميعها كانت مساكن ولا ان جميع مساكنهم كانت منحوتة

(المنارج ٣) (٢٧) (المجلد الحادي عشر)

في الجبال بل قال ان بعض المساكن كانت تبنى على الارض والبعض الآخر
 ينحت في الجبل كما في سورة الاعراف (٧ : ٧٤) وبوأكم في الارض تتخذون من
 سهولها قصورا وتتخذون الجبال بيوتا - الى قوله - ٧٨ فانخذتهم الرجفة فأصبحوا في
 دارهم جاثمين) فكانت لهم قبورا بعد اهلاكهم وان لم تكن جميعا كذلك في اول
 أمرهم ومن ذلك تعلم خطأ مقاله المستشرق الشهير مرجليوث في كتابه المسمى
 (محمد) في هذه المسألة

مسألة الثانية

(الإسراء وتاريخ بيت المقدس)

قال الله تعالى (١٧ : ١) سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام
 إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ليريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)
 المسجد الحرام هو الحرم المكي والمسجد الأقصى هو بيت المقدس . وهذا البيت
 كان خربه تيطس الروماني سنة سبعمائة للميلاد وأحرقه بالنار فلم يكن له وجود في
 زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا آثاراً وأطلالاً فكيف يقول القرآن الشريف
 إن النبي أسرى به إليه ؟ الجواب (١) المسجد في اللغة مكان السجود والعبادة ولا
 يشترط فيه ان يكون محاطاً بالبناء ولا ان تكون سقفه مرفوعة على أعمدة او نحو ذلك
 مما اعتاده الناس الآن وما كانت مساجد العرب في مبدئ الإسلام إلا أمكنة
 بسيطة خالية من الأبنية الضخمة والزخرف والزينة وكل مكان يعبدون الله فيه
 يسمونه مسجداً لم يل سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الأرض مسجداً
 لصحة العبادة في أي جزء منها فقال « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » فلا
 يلزم من قول القرآن إن النبي أسرى به إلى المسجد الأقصى انه كان إذ ذاك مبنياً
 مشيداً كما كان قبل تخريب الرومان له . ولذلك كان العرب يذهبون إلى اورشليم
 وغيرها من بلاد الشام ويعرفون ما كان عليه المسجد الأقصى من الخراب ومع
 ذلك لم يسمع من أحد منهم انتقاد على عبارة القرآن الشريف هذه أو تردد في

فمهما أو تكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم فيها وغاية ما سمع منهم تكذيبه في ذهابه إلى هذا المسجد بهذه السرعة العجيبة لا في وجود ما يسمى عندهم بالمسجد الأقصى وإن كان خرباً على أن الظاهر أن القرآن الشريف يريد بالمسجد الأقصى بلدة (أورشليم) وبالمسجد الحرام بلدة (مكة) أي إن النبي سار ليلاً من مكة إلى أورشليم لأن المسجد الحرام ما كان بيتاً للنبي صلى الله عليه وسلم ينام فيه بل كان نائماً في بيت أم هانئ أحد بيوت مكة كما جاء في الروايات الواردة في هذه المسألة. فالقرآن أطلق هنا المسجد الحرام على مكة وأطلق المسجد الأقصى على أورشليم من باب تسمية الكل بالجزء الذي هو أعظم وأشهر شيء فيه ومثل هذا الإطلاق شائع في العربية وغيرها وكثير في القرآن الشريف ولذلك ورد فيه تسمية الحرم كله بالبيت العتيق كما في قوله تعالى في الذ. الب. (٢٢: ٢٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق) مع أن الذبح لا يعمل في نفس البيت وإنما يعمل في « منى » بالقرب منه

أما ما ورد في بعض الروايات من أن النبي صلى الله عليه وسلم ربط زمام البراق في إحدى حلقات بيت المقدس فالأقرب عندي أن هذه الروايات وأمثالها هي مما وضعه الواضعون بعد تدمير بلاد المسلمين لهذا البيت أي بعد فتح عمر لبلاد الشام وإقامة مسجد مكان الهيكل (بيت المقدس) وقد غاب عن هؤلاء الواضعين هذه الحقائق كما هو شأن الكلدانيين فلم يعرفوا أن ما يشاهدونه في زمنهم لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم (١)

واعلم أن القرآن الشريف قد ذكر تاريخ بيت المقدس وما لحقه من التخريب فلا يقال أننا فيما قلنا ملفقون أو أننا لاجل دفاعنا عن القرآن ننسب إليه ما لم يعرفه ولم يخطر على بال مؤلفه كما يقولون. بل ورد فيه في نفس هذه السورة (الاسراء) بعد الآية السابقة قوله تعالى (١٧: ٤) وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ۝ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا هم بختنصر وقومه الكلدانيون (أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار) اليهودية أي

جالوا وترددوا فيها للنهب والقتل والسلب والسبي والتدمير (وكان وعداً مفعولاً ثم رددنا لكم الكرة عليهم) بأن أرسلنا عليهم كورش ملك فارس فدمر ملكتهم وفتح بابل وأخذ اليهود من أسرهم وأكرم مشاهيرهم وأحسن اليهم ورددهم إلى بلادهم فصاروا فيها أعزاء وسادوا على أعدائهم الذين تركهم الكلدانيون فيها تحت رعايتهم فعاد إلى اليهود شيء كبير من مجدهم السابق ثم عمروا بيت المقدس الذي كان خربه مختصراً وأحرقه وصاروا يقيمون شعائر دينهم فيه كما كانوا يفعلون من قبل (وآمدناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر فقيراً) فرجوا من الأسر أشياء كثيرة من الذهب والفضة وبأمتعة وبهائم وتحف وغيرها كما في سفر عزرا (١ : ٤ - ١١) (٧ إن أحستم أحستم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة) العقوبة الثانية (بعثنا عليكم عباد لنا ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد) أي بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تبيراً) فدخله تيطس الروماني بجيشه ونهبه وأحرق الهيكل ودمره تدميراً كما فعل الكلدانيون من قبل ونشئت اليهود بعد ذلك في العالم ولم تعد إليهم الدولة إلى الآن .

وإنما قال القرآن « كما دخلوه أول مرة » مع أن الداخلين المدمرين للمسجد في المرة الثانية غير الذين دمروه في المرة الأولى لأن الجامع بينهم شيء واحد وهو كونهم جميعاً عباداً لله فإنه قال في أول القصة « بعثنا عليكم عباداً لنا » بدون ذكر جنسهم . وهذا على حد قولك « دخل الأورييون الجامع الأزهر مرة ثم دخلوه مرة أخرى » مع أن الداخلين في المرة الثانية قد يكونون إنكليزاً وفي الأولى فرنسويين ولاشترأكم في الوصف (وهو كونهم أوريين) كان هذا التعبير صحيحاً ومثل ذلك قوله تعالى مخاطباً لليهود العرب (٥٥ : ٢) وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى ترى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) مع أن ذلك لم يحصل لهم وإنما حصل لبني إسرائيل في زمن موسى ولاشترأك يهود العرب معهم في الدين جاز هذا التعبير وهو شائع في جميع اللغات فيما تقدم تعلم أن القرآن الشريف ذكر أن المسجد الأقصى خرب مرتين وذكر لليهود عقوبتين الأولى ما أوقعه الكلدانيون بهم والثانية ما فعله الرومانيون أما الواقعة الأولى فقد تمت في سنة ٥٨٧ قبل الميلاد وبها زال استقلال اليهود

وصاروا خاضعين للكلدانيين ثم الفرس ثم اليونان ثم الرومان
وأما الثانية فقد تمت في سنة سبعين بعد الميلاد وبها نشئت اليهود في أنحاء
العالم وقضي عليهم قضاءً أبدياً

ومن ذلك تعلم ان هاتين الواقعتين يدور حولهما تاريخ الأمة اليهودية وعليها
يقام هيكله فلولا وحي الله لما أمكن لذلك العربي الأمي العامي الناشئ بين الوثنيين
أن يستخلصها من تاريخ الأمة اليهودية الطويل العريض وليس في بلاده
كتب يرجع إليها بل لا يتيسر له إذا أراد ولم يقم على تربته معلم وليس له مدارس
ومع ذلك قد نلخص هذا التاريخ الكبير في كلمة صغيرة هي نهاية الإعجاز وعبرة
العبر وحكمة الحكم مع ما فيها من الاشارات الدقيقة إلى الحقائق التاريخية التي
يفهمها الراسخون في العلم

هذا وقد كان أسر اليهود إلى بابل من أكبر ما حل بهم من المصائب حتى
كانوا كل يوم ينتظرون القرح والخلوص العاجل وقد كان كورش ملك فارس
المخلص الأكبر لهم من ذلك وكانوا يسمونه مسيح الرب (أشعيا ٤٥ : ١) فلذا
كثير الثناء عليه في كتب العهد القديم لا تقاذه آياهم من الحن والبلايا والرزايا التي
حلت بهم في بابل التي اطبت كبهم في وصفها وتعييدها وانذرهم الانبياء بها قبل
وقوعها ثم صاروا يشرونهم بالخلاص منها . وهذا هو سبب ورود لفظ الخلاص
ونحوه كثيرا في كتب العهد القديم ككتاب أشعيا وغيره مما صار النصراني يزعمون
أنه رموز إلى المسيح عيسى عليه السلام والحقيقة أنه لا علاقة لأكثره به ولكنهم
ولعوا وولع مؤلفو العهد الجديد بذلك من قبل حتى انهم كانوا ينسبون للمسيح
عليه السلام من الحوادث ما ينسبون ثم يستشهدون عليها بعبارات في العهد القديم
كاستشهاد متى (٢ : ١٥) بكلام هوشع عن خروج بني اسرائيل من مصر
(اصحاح ١١ : ١) وزعمه ان ذلك نبوة عن المسيح عليه السلام وكاستشهاده في الاصحاح
٩ : ٢٧ بكلام يزعم أن أرميا النبي قاله مع أنه لا وجود له في كتابه وإنما يوجد في كتاب
زكريا بعض ألفاظ تشبهه (اصحاح ١١ : ١٣) ولا مناسبة بينها وبين ما يقوله
متى في انجيله . وإنما ذكرنا ذلك إبطالاً لدعاويهم العريضة ورداً لكيدهم وتعاملهم

على القرآن الشريف مع الجهل والتعصب كما بناه وبنينه
ولما أصيب اليهود للمرة الثانية بما أصيبوا به من الرومانيين صاروا يترقبون مجيء
مخلص لهم ككورس وهم إلى الآن ينتظرون ذلك ! !
هذا شيء من تاريخ اليهود ذكرناه هنا تفصيلاً لتفسير ما جاء في أول سورة
الاسراء ومنه تعلم أن القرآن الشريف ذكر تخريب المسجد الأقصى في المرتين
فلا يقال إنه أخطأ وجهل التاريخ كما يدعي جهلة المسيحيين افتياتاً عليه ورغبة منهم
في تكذيب حادثة الاسراء وهي كما ترى ليس فيها شيء ينافي العلم أو يناقض حكم
العقل الصحيح . وما نشاهده من حركات الأجرام الكونية وما اخترعه البشر من
آلات البخار والكهرباء يقرب إلى العقل تصور تلك الحركة السريعة التي حصل
بها الاسراء إن كان ذلك جسيماً كما عليه جمهور المسلمين وأما إن كان روحانياً أو
روياً منامية كما عليه بعضهم فلا شبهة عليه والله أعلم (لها بقية)

باب المناظرة والمراسلة

السنن والاحاديث النبوية

٢

بمبحث النسخ

قال حضرة الدكتور «النسخ هو ابطال حكم لبديل او لغير بديل» واقول ما ذكره
من تعريف النسخ غير كاف ولا واف فانه غير جامع ولا مانع ولا لطيل بالمناقشة
فيما يتعلق بالعبارة اذ مراده بذلك الكلام على النسخ المعروف عند المسلمين وهو
صريح في اختياره النسخ بمعناه عند المتأخرين - اما هو في عرف السلف فهو
زيادة على ما ذكره بهم رفع دلالة العام والمطلق والظاهر إما بتخصيص او تهديد او